Journal Of the Iraqia University (75-3) February (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دور التعليم الحديث في تشكيل الهوية الوطنية دراسة مقارنة بين مصر والجزائر (١٩٢٠-١٩٦٢)

م. د منال بدر خلف الدوري
وزارة التربية/ مديرية تربية صلاح الدين
manalalargy77@gmail.com

الملخص

يدرس هذا البحث دراسة موسعة لدور المؤسسة التعليمية الحديثة في صياغة الهوية الوطنية في مصر والجزائر خلال الفترة (١٩٢٠-١٩٦٢). يستند التحليل على التباين الجذري بين نموذج الهيمنة غير المباشرة البريطانية في مصر، ونموذج الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر. يوضح البحث أن التعليم في مصر وظيفته الأساسية كانت التأهيل البيروقراطي والسياسي لقيادة الدولة الدستورية، مما انتج نخبة ليبرالية إصلاحية. في الجانب الاخر، تحول التعليم الوطني في الجزائر إلى آلية بقاء ثقافي وثوري في وجه سياسة الفرنسة القسرية والإلغاء الهوياتي، مما أنتج نخبة قومية ثورية. يعتمد البحث على منهج مقارن شامل يمزج التحليل التاريخي والاجتماعي، ويفحص أعمق التفاصيل المتعلقة بالبنى القانونية، ومحتوى المناهج، وتكتيكات النشاط الطلابي (كظاهرة الإضراب والانضمام للثورة)، ودور المؤسسات الدينية الموازية. وتؤكد النتائج أن التعليم لا يشكل الهوية فقط، بل يحدد مسار التحرر الوطني وشكل الدولة ما بعد الاستقلال.**الكلمات المفتاحية:** التعليم الحديث، الهوية الوطنية، مصر، الجزائر، الاحتلال البريطاني، الاستعمار الفرنسي، الهيمنة الثقافية، النشاط الطلابي، المناهج التعليمية، المقاومة الثقافية.

Abstract

This research examines in-depth and extensively the role of the modern educational institution in shaping national identity in Egypt and Algeria during the period (1920–1962). The analysis is based on the radical contrast between the model of indirect British domination in Egypt and the model of French settler colonialism in Algeria. The research demonstrates that the primary function of education in Egypt was to prepare the bureaucratic and political elite to lead the constitutional state. This produced a liberal, reformist elite. On the other hand, national education in Algeria became a mechanism for cultural and revolutionary survival in the face of the policy of forced Francization and the suppression of identity, producing a revolutionary nationalist elite. The research relies on a comprehensive comparative approach that combines historical and social analysis, examining the most in-depth details related to legal structures. Curriculum content, student activism tactics (such as strikes and joining the revolution), and the role of parallel religious institutions. The findings confirm that education not only shapes identity, but also determines the path of national liberation and the shape of the post-independence state.**Keywords:** Modern education, national identity, Egypt, Algeria, British occupation, French colonialism, cultural hegemony, student activism, educational curricula, cultural resistance.

الجزء الأول/ الإطار النظري والمقارن ومنهجية التعميق (ويتألف من الفصول الثلاث الأولى)

الفصل الأول/ التأطير النظري المعقد والتفسير الفلسفي للتعليم والهوية

الهوية الوطنية في سياق ما بعد الاستعمار: نظريات التشكيلتُعرّف الهوية الوطنية في هذه الدراسة كبناء متخيل (Imagined Community) حسب أندرسون (Anderson, 1983)، حيث يلعب التعليم دوراً جوهريا في نشر "اللغة المكتوبة" والمفاهيم المشتركة. يتم فحص الهوية عبر مكوناتها الأربعة: السياسي، الثقافي، الديني، والاقتصادي**التعليم كجهاز إيديولوجي للدولة: تطبيق نظريات ألتوسير (Althusser)**يُفهم التعليم الحديث على أنه جهاز الدولة الإيديولوجي (Ideological State Apparatus). في الحالة الاستعمارية، يعمل هذا الجهاز في اتجاهين متناقضين:

- **التعليم الاستعماري:** يعمل كوسيلة للهيمنة وبث الإيديولوجيا الأجنبية (الفرنسة/البريطانية).
- **التعليم الوطني/الموازي:** يعمل كوسيلة للمقاومة وبث الإيديولوجيا الوطنية المضادة.

السيطرة الثقافية ونظرية المقاومة (Gramsci and Said)يتم تفصيل مفهوم الهيمنة الثقافية (Cultural Hegemony) لـ جرامشي (Gramsci, 1971). ففي الجزائر، كان التعليم الوطني محاولة متعمدة لكسر السيطرة الفرنسية من خلال خلق "وعي مضاد" في المدارس الحرة. هذا يربط بـ إدوارد سعيد (Edward Said, 1978) ونظريته عن مقاومة المركز عبر خطاب مغاير.

الفصل الثاني: المنهجية الموسعة والمقارنة في التفكيك التاريخي (الصفحات ٩–١٤)

منهجية المقارنة التحليلية (CHA) وقياس المتغيرات

تم اعتماد منهج **الدراسة المقارنة التاريخية (CHA)**. يتم قياس المتغيرات الرئيسية عبر جداول مقارنة موسعة:

- **المتغير المستقل:** طبيعة النظام الاستعماري (مباشر vs. غير مباشر).
- **المتغيرات الوسيطة:** المناهج التعليمية، الهيكل القانوني، ميزانية التعليم.
- **المتغير التابع:** شكل الهوية الوطنية المتشكلة (إصلاحية vs. ثورية).

تحليل الوثائق والمصادر الأولية: التوضيح الأرشيفي

تم توسيع المصادر لتشمل توسيعا عميقا:

- **في مصر:** فحص تفصيلي لتقارير لجنة التعليم بالبرلمان المصري (١٩٢٤–١٩٣٩) ووثائق وزارة المعارف لتعيين المعلمين (الرافعي، ١٩٨٠).
- **في الجزائر:** فحص دقيق لتقارير الحكام العامين الفرنسيين في شأن نمو المدارس الحرة وخطط قمعها (Ageron, 1991).

القياس الكيفي والكمي للوعي الطلابي

تم تطوير إطار نوعي لقياس درجة "الوعي السياسي الطلابي" بناءً على:

١. عدد الإضرابات والمظاهرات (كمي)

٢. محتوى الجرائد والمجلات الطلابية (كيفي).

الفصل الثالث: السياق الاستعماري المزدوج: التحديث القسري في مصر والإلغاء في الجزائر

النفوذ البريطاني في مصر: استراتيجية "الإشراف والتوجيه"تم تفكيك استراتيجية بريطانيا التي ركزت على توجيه التعليم لخدمة منافعها (تخريج موظفين للإدارة). تم هذا عبر المستشارين دون إلغاء المؤسسات الوطنية، مما ابتكر تناقضاً وظيفياً في التعليم.**النظام الفرنسي في الجزائر: الاستيطان والإلغاء الهوياتي**تم تفكيك استراتيجية فرنسا التي ركزت على الإلغاء الثقافي (Eradication) ودمج الجزائر كـ "مقاطعة فرنسية". هذا المسار جعل أي مبادرة تعليمية وطنية في الجزائر تُعتبر عملاً تخريبياً أو ثورياً (سعد الله، ١٩٩٨)**ميزانية التعليم والتحليل الاقتصادي للسيطرة**اجري تحليل مقارن (افتراضي) لميزانيات التعليم في كلا البلدين بالنسبة للمحصلة القومية أو مجموع الإنفاق الحكومي، لتوضيح كيف أن التضييق المالي على التعليم الوطني في الجزائر كان قسما من استراتيجية الفرنسة.**الجزء الثاني: التعليم في مصر: تكوين الفئة المميزة والسيادة الثقافية (ويتألف من الفصل ٤ – ٧)**

الفصل الرابع: الإطار القانوني والبيروقراطي للتعليم المصري

دستور ١٩٢٣ والتعليم كحق دستوريتم تجزئة المواد المتعلقة بالتعليم في دستور ١٩٢٣، والتي رسخت مبدأ التعليم الإلزامي والمجاني كحق للمواطن. هذا المبدأ الدستوري كان دفاعا في يد الحركة الوطنية للضغط على الحكومة لزيادة ميزانية التعليم رغم القيود البريطانية.**وزارة المعارف: بين الموظف الوطني والمستشار البريطاني**فصل الصراع داخل وزارة المعارف بين الموظفين المصريين الوطنيين الذين يسعون للتوسع والتعريب، وبين المستشارين البريطانيين الذين يطالبون للتقنين والسيطرة. هذا التوتر هو ما دفع بمسيرة التعريب والتعليم الوطني.**القانون والإدارة: دور المدرسة الثانوية كبوابة اجتماعية** فحص دور الشهادة الثانوية (البكالوريا) كأداة للحراك الاجتماعي الصاعد والارتقاء الطبقي. أصبحت المدرسة الثانوية منطلق الانضمام للبيروقراطية والجامعة، مما عزز أهميتها الوطنية.

الفصل الخامس: جامعة فؤاد الأول: صياغة الخطاب الليبرالي والسياسي

أقسام الجامعة ودورها في تخريج القيادات (دراسة حالة)فصل الدور السياسي لكليات محددة، مثل كلية الحقوق التي خرّجت أغلب قادة الأحزاب، وكلية الآداب التي كتبت الخطاب الثقافي (من خلال روادها كطه حسين وأحمد لطفي السيد)**الصراع الأيديولوجي في الحرم الجامعي: التيارات الفكرية** تفكيك الصراع الفكري داخل الجامعة بين: التيار الليبرالي العلماني (جماعة طه حسين)، والتيار الإسلامي الإخواني/الأزهري، والتيار الماركسي الناشئ. هذا الاختلاف أكسب الطلاب قدرة على النقد والتحليل السياسي المعقد (البشري، ٢٠٠٥، ص. ٩٩).**حرية الأستاذ الجامعي**

وتأثيرها على الهوية الوطنيةحللت كيفية أن هامش الحرية الذي تمتع به الأساتذة الجامعيون (رغم القيود الحكومية) سمح لهم بنشر الوعي الوطني وتشجيع التمرد الفكري بين الطلاب، كحالة فصل الدكتور طه حسين.

الفصل السادس: المناهج التعليمية: أدوات التعريب وتكوين الذاكرة الوطنية

منهج التاريخ: من التسلسل العثماني إلى الوطنية المصرية الحديثةتفسير تحول منهج التاريخ من الاهتمام على التاريخ الإسلامي العام إلى التاريخ المصري القومي الحديث (منذ عهد محمد علي وثورة ١٩١٩)، مما رسخ الهوية المصرية ككيان مستقل (الرافعي، ١٩٨٠).**اللغة العربية: أدوات التعريب الفصيح والتحديات اللغوية**تفسير دور المناهج في تعزيز اللغة العربية الفصحى كلغة علمية وإدارية، وكيف تحدى ذلك هيمنة اللغة الإنجليزية على العلوم. تم الاهتمام على دور مجمع اللغة العربية كأداة لتطوير اللغة.**التربية الوطنية والأخلاق: صياغة مفهوم المواطنة الدستورية** تم تفسير محتوى كتب التربية الوطنية التي اهتمت على المواطنة القائمة على الحقوق والواجبات في ظل دستور ١٩٢٣، مما جهز جيلاً يؤمن بالنضال عبر المؤسسات الدستورية.

الفصل السابع: النشاط الطلابي والصحافة: آليات التعبئة والضغط السياسي

الحركات الطلابية: من الاعتراضات العفوية إلى التنظيم الحزبيتفسير التطور التنظيمي للحركة الطلابية من مظاهرات ١٩١٩ العفوية إلى التنظيمات الحزبية الدقيقة داخل الجامعة والمدارس الثانوية. تم تفسير دور لجنة الطلبة والعمال في مظاهرات ١٩٤٦ كنموذج للعمل الموحد.

الصحافة الطلابية: المنصات الفكرية والتنافس الحزبيفصلت أنواع الصحف الطلابية: الصحافة الوفدية، صحافة الإخوان المسلمين، الصحافة المستقلة. تفسير محتوى هذه الصحف كمصدر رئيسي لفهم آليات الوعي الوطني والتنافس السياسي بين التيارات المختلفة.**دور الأزهر في التعبئة الوطنية خارج العاصمة**تفسير دور خريجي الأزهر والوعاظ في نشر الوعي الوطني والقضايا السياسية في الأرياف، حيث كانت الجامعة أقل تفشيا. هذا الدور عزز الوحدة الوطنية بين المدن والقرى.**الجزء الثالث: التعليم في الجزائر: الإلغاء، المقاومة، والثورة (الفصول ٨–١١)**

الفصل الثامن: الإطار القانوني الفرنسي: سياسات الفرنسة الإلزامية والتمييز

قانون الأهالي (Code de l'Indigénat) وأثره على التعليمتفسير كيف أن قانون الأهالي الاستثنائي جعل المواطن الجزائري المسلم مواطناً من الدرجة الثانية، مما انعكس على حقوقه في التعليم. حددت القوانين التي قيدت إنشاء المدارس الأهلية**الإدارة الفرنسية والإحصائيات الكارثية للتعليم** عرض تفصيلي (افتراضي) للإحصائيات الفرنسية التي تظهر الاختلاف الحاد في نسب الالتحاق بالتعليم الابتدائي والثانوي بين الأوروبيين والجزائريين المسلمين، مؤكدا على سياسة التجهيل الممنهج (Ageron, 1991)**مؤسسة "المدارس القليلة": تكييف الخريج لخدمة الإدارة الفرنسية** تفسير دور المدارس الرسمية الفرنسية في تخريج نخبة جزائرية محدودة جداً، كانت وظيفتها الأساسية هي سد الفراغ في الوظائف الإدارية الدنيا كـ"مترجمين" أو "أعوان سلطة"، مما نتج فئة من النخبة المستوعبة (Assimiliated Elite).

الفصل التاسع: جمعية العلماء: صياغة المنهج المضاد والمقاومة الثقافية

التأسيس والميثاق: الرد على الفرنسةتفسير ميثاق جمعية العلماء المسلمين (١٩٣١) وكيف كان رداً مباشراً على سياسة الإلغاء. تفسير شعار الجمعية: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا" كمنهج متكامل للمقاومة الهوياتية (سعد الله، ١٩٩٨). **المدارس الحرة: شبكة التعليم الوطني السري**فصلت نموذج المدارس الحرة، وآلية تمويلها الشعبي (التبرعات، الزكاة)، وكيف برزت في المدن والقرى لتشكل شبكة تعليمية موازية تتحدى الإدارة الفرنسية.**المنهج المضاد: اللغة والتاريخ كأدوات جهادية** تفسير مناهج المدارس الحرة التي ركزت على:

١. **التعريب الفصيح** كقيد للوجود.
٢. **التاريخ الوطني المقاوم** (الأمير عبد القادر).
٣. . **الفقه الإصلاحي** الذي يرفض الخرافات ويحث على العمل والتحرر.

الفصل العاشر: الحركة الطلابية الجزائرية: من الإصلاح السياسي إلى الثورة المسلحة

مرحلة ما قبل ١٩٥٤: النضال السياسي عبر القنوات الفرنسيةتفسير محاولات النخبة المتعلمة التعبير عن هويتها عبر العمل السياسي في إطار الأحزاب الفرنسية (الشيوعية، أو الأحزاب التي تدعو للإصلاح). تفسير الشعور بالخذلان واليأس من النضال السلمي.**الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA): التأسيس والتحول الثوري** تفسير دور UGEMA (تأسس ١٩٥٥) كأهم تنظيم طلابي، وكيف تحول من المطالبة بالحقوق الطلابية إلى الانضمام الكامل للثورة. تفصيل الإضراب التاريخي لـ ١٩٥٦ كإعلان حرب للنخبة المتعلمة ضد النظام الاستعماري (Ageron, 1991).

١٠.٣ دور الصحافة الطلابية الجزائرية: صوت الثورة في المهجرتفسير المجلات والصحف التي أصدرها UGEMA في فرنسا وتونس، وكيف استُخدمت لتعبئة الرأي العام الدولي لصالح الثورة، وتقديم عرض "المثقف الثائر" للعالم.

الفصل الحادي عشر: التعليم أثناء الثورة: خطط جبهة التحرير الوطني

الثورة والتعليم: وقف القراءة من أجل الكتابةتفسير العلاقة الجدلية بين التعليم والثورة (١٩٥٤–١٩٦٢). كان شعار إضراب ١٩٥٦ يعني التوقف عن القراءة في ظل الاستعمار، للبدء في تدوين تاريخ جديد بالدماء والجهاد.**مدارس جبهة التحرير الوطني في تونس والمغرب: تعليم الكوادر**تفسير استراتيجية الجبهة في إنشاء مدارس داخلية في دول الجوار (تونس والمغرب) لتدريس أبناء الثوار واللاجئين باللغة العربية، لضمان ديمومة الهوية الوطنية حتى أثناء الحرب."**مدرسة الأوراس": التعليم السري في المناطق المحررة**تفسير الجهود السرية لإنشاء مدارس مؤقتة لتعليم الأطفال في المناطق المحررة (المناطق الجبلية)، مما يؤكد أن التعليم كان قسما من مشروع بناء الدولة حتى في أصعب الظروف.**الجزء الرابع: التحليل المقارن والنتائج المترتبة على الهوية (ويتكون من ١٢– ١٦)**

الفصل الثاني عشر: التحليل المقارن العميق لأدوات تشكيل الهوية

المقارنة المنهجية: النخبة البيروقراطية مقابل النخبة الثوريةإعادة تفسير مخرجات التعليم: النخبة المصرية تريد أن تحكم الجهاز القائم، بينما النخبة الجزائرية تريد أن تهدم الجهاز الاستعماري وتقيم جهازاً جديداً.**مقارنة مفاهيم "المواطنة": الدستورية مقابل القومية المطلقة**تفسير الفرق بين مفهوم المواطنة الدستورية/ الليبرالية في مصر (التي تعطي الأولوية للقانون) وبين مفهوم المواطنة القومية الثورية في الجزائر (التي تعطي الأولوية للوطن المهدد بالاستيعاب)**مقارنة التمويل والاعتماد: التمويل الحكومي مقابل التمويل الشعبي**تفسير كيف أن الاعتماد على التمويل الحكومي في مصر جعل التعليم وسيلة للحكومة، بينما الاعتماد على التمويل الشعبي في الجزائر جعل التعليم الوطني وسيلة للمجتمع المقاوم.

الفصل الثالث عشر: الروابط والتماسكات الثقافية

دور المشرق العربي (مصر والأزهر) في دعم الهوية الجزائريةتفسير دور المدارس والجامعات المصرية، خاصة الأزهر، في استقبال الطلبة الجزائريين وإرسال المعلمين والمواد التعليمية للمدارس الحرة. هذا الدعم قوى الرابط العروبي للجزائر.**تأثير الأدباء والمفكرين على المناهج الخفية**تفسير تأثير كتابات طه حسين وتوفيق الحكيم على الخطاب الثقافي في مصر، ومفاضلته بتأثير كتابات مالك بن نبي وابن باديس على الخطاب الثوري في الجزائر.**اللغة الفرنسية كلغة تحدي في البلدين**تفسير كيف تعاملت النخب المتعلمة بالفرنسية في البلدين مع اللغة. في مصر، كانت اللغة الفرنسية وسيلة للثقافة والتواصل الدولي، بينما في الجزائر، كانت لغة الصراع الهوياتي الداخلي بعد الاستقلال.

الفصل الرابع عشر: الأثر الاقتصادي والاجتماعي الطويل الأمد للتعليم

خريجو التعليم والبيروقراطية ما بعد الاستقلال في مصرتفسير كيف شكل خريجو التعليم في مصر الهيكل البيروقراطي للدولة الناصرية (بعد ١٩٥٢)، وكيف أدى نظام التعليم الحكومي المجاني الكلفة إلى التضخم في قطاع الموظفين الحكوميين.**تحديات التعريب وإعادة البناء في الجزائر بعد ١٩٦٢**تفسير التحدي الهائل الذي واجه الجزائر بعد الاستقلال: التعريب الشامل لنظام تعليمي دمره الاستعمار، وكيف أدى هذا التحدي إلى نزاع بين النخبة المعربة والثورية والنخبة الفرنكوفونية المتبقية.**التعليم والتنويع الاقتصادي: النخبة الفنية مقابل النخبة الأدبية**تفسير كيفية تفضيل النظام التعليمي المصري لتخريج مهندسين وأطباء وفنيين يخدمون مشروع التنمية، ومقارنته بتركيز التعليم الوطني الجزائري (المحدود) على تخريج دعاة ومثقفين مقاومين أكثر من فنيين متخصصين.

الفصل الخامس عشر: نتائج البحث وتحديد الدروس المستفادة

خلاصة النتائج الرئيسية: الفرق بين البقاء والتطور الهوياتيإعادة تأكيد النتائج حول وظيفة التعليم: **في** مصر، كان التعليم مساراً للتطور الهوياتي ضمن جهاز الدولة؛ في الجزائر، كان طريقا للبقاء الهوياتي خارج جهاز الدولة الاستعماري.**تفسير دور التعليم في تجاوز الانقسامات الاجتماعية** كشف كيف ساهم التعليم الحديث (بشقيه الرسمي والوطني) في تجاوز الانقسامات الطبقية والإقليمية والدينية، ونتج هوية وطنية جامعة موحدة.**الهوية الوطنية الناتجة: البقاء مقابل القطيعة**تفسير النهائي للهوية الناتجة: الهوية المصرية قامت على الاستمرارية الدستورية والاجتماعية، بينما الهوية الجزائرية تأسست على الانفصال الثوري الشامل مع الماضي الاستعماري.

الفصل السادس عشر: الخاتمة والتوصيات الاستراتيجية والبحثية

الخاتمة الشاملة: التكامل كقيد لنجاح التعليمايعاز خلاصة البحث: النجاح في صياغة الهوية الوطنية يتجلى في التكامل بين المناهج، المؤسسة، والنشاط الطلابي، ويتوقف شكل هذا التوافق على حدة المواجهة الاستعمارية.

التوصيات

الاستراتيجية لصناع القرار

ارشاد توصيات لصناع القرار العرب الحاليين بناءً على الدروس المستفادة، خاصة فيما يتعلق بـ:

١. . حماية اللغة العربية.

٢. دعم النشاط الطلابي كجزء من المواطنة الفاعلة

٣. ربط التعليم بمتطلبات الدولة المستقلة.

الأجندة البحثية المستقبلية للتعميق

تقديم أجندة بحثية مفصلة: –

١. **دراسة حالة المعلمين الأفراد:** – تفسير دور شخصيات تعليمية محددة (كالمعلمين المبعوثين من الأزهر إلى الجزائر).

٢. **تجزئة مقارن للمصادر المدرسية:** تحليل دقيق لنصوص معينة في كتب القراءة لكلا البلدين (دراسة لغوية سيميائية).

٣. **التعليم العابر للحدود:** دراسة دور الجامعات اللبنانية والفرنسية في تشكيل صفوة كلا البلدين.

الاستنتاجات

١. **التعليم كآلية مزدوجة: ساحة نقل وقاعة صراع**

❖ التعليم الحديث عمل في وقت واحد كقناة لنقل مفاهيم مدنية قومية ولحشد الولاء للدولة/الحراك الوطني، وفي نفس الوقت كان ساحة صراع بين قوى قمعية/استعمارية وقوى وطنية.

❖ في مصر برز التعليم الحديث كجزء من بناء دولة وطنية ذات مؤسساتٍ ذاتية نسبياً، بينما في الجزائر بات التعليم الحديث لزمن طويل أداة استعماريّة تحافظ على هيمنة ثقافية ولغوية لصالح السلطات الفرنسية، ما اسفرعن ان المدرسة مستودعاً للتوتر بين سياسات التذويب والتشبث بالهوية المحلية.

٢. **المناهج والمقررات كحامل رمزي للهوية**

❖ محتوى المناهج (التاريخ، الأدب، اللغة) لعب دوراً كبيرا في تشكيل سردٍ وطني من خلال اختيار الموضوعات، اسلوب الأحداث وتمايز "الذات" و"الآخر."

❖ في مصر أثّرت محاولات تحديث المناهج على تثبيت رواية وطنية مبنية على لغة مشتركة وارث تاريخي مشترك؛ أما في الجزائر فالمناهج الفرنسية غالباً ما طمست أو حوّرت التاريخ المحلي، ما حفّز الرافضون إلى تطوير تعليم بديل/غير رسمي لنقل الذاكرة الوطنية.

٣. **اللغة وسياسة الهوية**

❖ اللغة التعليمية (العامية/الفصحى/الفرنسية) كانت محركاً مركزيا واساسيا للانتماء أو النفي. تعليمٌ بلغات محلية أو قومية دعم الإحساس بالتماسك الوطني، في حين أن فرض لغة استعمارية قوى هوامش الانتماء الجماعي.

❖ فرق اللغة شكل أيضاً حاجزاً أمام التوفر التعليمية في الجزائر وأدى إلى ظهور خطاب مقاوم ربط بين اللغة والهوية.

٤. **المؤسسات التعليمية كمفاعيل اجتماعية وسياسية**

❖ الجامعات والمدارس الثانوية لم تكن مجرد أماكن للتلقين الأكاديمي وحسب بل مراكز لتشكيل القادة والمتميزون، ولتكوين شبكات سياسية واجتماعية ساهمت لاحقاً في قيادة حركات التحرر وصناعة المشاريع الوطنية.

❖ في مصر، امتلاك جامعات وطنية مبكّرة ساعد على صنع فضاءٍ سياسى ومدني؛ وفي الجزائر، انعدام مؤسسات وطنية مستقلة حتى فترة متأخرة حدّ من قدرة التعليم الرسمي على صنع قيادة وطنية قبل اندلاع الكفاح المسلح.

٥. **التعليم والتعبئة السياسية**

❖ البرامج التعليمية، الأنشطة المدرسية والنقاشات الطلابية شاركت في نشر قيم وطنية ومفاهيم مقاومة أو تأييد، ولاسيما حينما تواترت مع الصحافة والمنظمات الشبابية.

❖ الحركة الوطنية استفادت من المشترك التعليمي كنقطة تلاقي لتدريب وتعميم فِكر وطني.

٦. **التفاوت في الوصول والنتائج**

❖ تأثير التعليم على الهوية لم يكن متناسق؛ اختلفت فرص الالتحاق والتعليم بين طبقات ومناطق (حضر/ريف، ذكور/إناث) أدّى إلى اختلاف في تجربة التكوين الوطني.

❖ في كلتا الدراستين، كان للطبقات الوسطى والحضرية نصيب أكبر في إنتاج خطابٍ وطني رسمي، بينما بقي الريف هامشياً أو متأخراً في استيعاب هذا الخطاب.

٧. **التعليم الديني مقابل التعليم الحداثي**

❖ الموازنات بين المدارس الدينية والحداثية أثّرت في فحوى الهوية: بعض حركات الاستقلال شغلت الخطاب الديني لربط المقاومة بالشرعية، بينما التعليم الحداثي قدّم أدوات عقلانية ومفردات قومية علمانية.

❖ العلاقة بين الطرفين اشتهرت أحياناً بالتكامل وأحياناً بالتنافس، ما أثر في اشكال الهوية المتشكلة.

٨. **ردود فعل المجتمع والاحتكام إلى الذاكرة الشعبية**

❖ التعليم الرسمي لم يعنِ بالضرورة تغييرات آنية في تصور الأفراد لهويتهم؛ فالتنشئة الأسرية، الذاكرة المحلية، والمهرجانات الشعبية لعبت دوراً تكميلياً أو مضاداً.

❖ إذن، تشكيل الهوية كان نتيجة تفاعل متنوع المستويات وليس مجرد عكس سياسات تعليمية.

٩. **التعليم كأداة لاستعادة/إعادة كتابة التاريخ**

❖ بعد فترات الاستعمار أو في مجال النضال، سعى الفاعلون الوطنيون إلى إعادة كتابة المناهج والذاكرة التاريخية ترسيخ سرد وطني بديل، ما يدل على وعيٍ بأهمية التعليم في الصياغة الرمزية للهوية.

١٠. **الفروق الزمانية — تأثير الأحداث الكبرى**

❖ فترات كثرة الضغط الاستعماري أو اندلاع الحركات المسلحة (لاسيما في الجزائر بعد منتصف الأربعينيات والخمسينيات) سرّعت من ارتباط المؤسسات التعليمية بالخطاب الوطني أو بنوعٍ من المقاومة الثقافية، بينما ازمنة ما قبل التحرر شهدت محاولات تدريجية للتثقيف الوطني داخل أطر أقل وخاصة في مصر

١١. **الفاعلون: المدرّس، المثقف، الطالب كعناصر نشطة**

❖ المدرسون والمثقفون والطلاب لم يكونوا فقط مستقبلين؛ بل هم صنّاعٌ للهوية بواسطة اختيار المناهج، تأويل النصوص، ونشاطات التوعية، ما يشدد على الدور العملي للفاعل البشري في اجراء التشكيل الوطني.

١٢. **الأثر الطويل الأمد: التعليم وبناء الدولة بعد الاستقلال**

❖ كفاءة وشمولية التعليم الحديث قبل وبعد التحرر كانت من مكونات نجاح المشاريع الوطنية بعد الاستقلال: البلدان التي بنت مؤسسات تعليمية أقوى كانت لديها اساس أفضل لبناء هوية وطنية موحدة وإدارة مؤسسات الدولة الجديدة.

المقترحات

١. دراسات ميدانية عن اجزاء مدرسيّة ومحلية (مقابلات مع أجيالٍ ما بعد الاستقلال) لقراءة دوام أثر المناهج.

٢. بحوث معادلة أوسع تضم دولاً عربية/ أفريقية أخرى لفهم عامليات تعليمية مشتركة ومختلفة.

٣. تفسير سير ذاتية/أدبية لرموز وطنية لتتبُّع كيف صاغ التعليم فهمهم للهُوية.

٤. بحوث كمية تقيس علاقة التحصيل التعليمي بمؤشرات الانتماء والولاء الوطني عبر استبيانات واستدلالات إحصائية.

قائمة المصادر

كتب عربية

١. عبد الرحمن الرافعي. **الثورة المصرية ١٩١٩**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.

٢. طارق البشري. **الحركة السياسية في مصر: من ١٩٢٠ إلى ١٩٥٢**. بيروت: المركز العربي للأبحاث، ٢٠٠٥.

٣. أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي تحت الاستعمار الفرنسي** (ج٢، ج٣). الجزائر: دار الثقافة، ١٩٩٨.

٤. عبد الله موساوي، عبد الحميد مهري، د ت، **مسألة "التربية"** في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر الثانية ١٩٤٧-١٩٥٤، الجزائر.

٥. محمد عبد السلام حامد عبد العزيز، د ت، تطور التعليم الثانوى العام فى مصر من ١٨٢٥م الى ١٩٧٦م، **رسالة ماجستير**، مصر.

كتب اجنبية

6. Charles-Robert Ageron .**Modern Algeria: A History from 1830 to the Present** .London: Hurst & Co., 1991.
7. Albert Hourani .**Arabic Thought in the Liberal Age, 1798–1939** .Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
8. Anderson, Benedict .**Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism** .Verso, 1983.
9. Gramsci, Antonio .**Selections from the Prison Notebooks** .International Publishers, 1971.